

إلى فلسطين، من آيتي

ساندي بلاسيدو، آيتي

إن نظام الفصل العنصري والإبادة الجماعية في الأراضي الفلسطينية المحتلة هما صورة مرآوية لواقع الإقصاء العنصري الذي يتعرّض له الهايتيون والسود في جمهورية الدومينيكان، والتضامن المناهض للإمبريالية هو أمر حتمي. عند ظهر يوم 19 تشرين الأول/ أكتوبر 2023، تجمّع نحو مائة شخص في متنزه الاستقلال في سانتو دومينغو لإدانة الإبادة الجماعية في غزة التي تقودها الصهيونية والمؤولة من الولايات المتحدة، وللتعبير عن التضامن مع الشعب الفلسطيني. وقد استقطب هذا الحراك أحزاباً سياسية يسارية وتقدمية، مثل حزب العمل الشيوعي (PCT)، وتجمّعات، مثل التنسيق الوطنية الشعبية (NPCC)، ومنظمات ثورية، مثل حركة العمّال الاشتراكيين (MST)، إضافة إلى شبّان مستقلّين. وبينما كان المتظاهرون يتجمّعون، تجمّع أيضاً أعضاء من المنظمة شبه-العسكرية اليمينية المتطرفة—المنظمة الدومينيكانية القديمة (AOD)، التي تصف نفسها بأنها حركة "وطنية" ملتزمة بـ"حماية الهوية الدومينيكانية". وقد رافق أعضاء هذه المنظمة، الذين يرتدون زيّهم الأسود المميّز وقبعاتهم بعد أن انضمّ إليهم بعض المؤيدين بملابس مدنية، عدد يفوق عددهم بمرتين من عناصر الشرطة الدومينيكانية.

ووفقاً لحركة العمّال الاشتراكيين، ومع بدء تجمّع المظاهرة، أطلق أعضاء مستقّزون من منظمة الدومينيكان القديمة "غازاً ساماً" في الهواء، وتساعد التوتّر بين المجموعتين حدّ العراك بالأيدي. وفي انسجام مع نمط متزايد من التعاون بين هذه الميليشيات شبه-العسكرية الفاشية الجديدة وأجهزة إنفاذ القانون، وسلطات الهجرة، فشلت الشرطة في حماية المتظاهرين المؤيدين لفلسطين. وقد زعم أعضاء هذه المنظمة أنهم حضروا للتظاهر بغية منع "الشيوعيين أو المثليين أو المؤيدين لهايتي" من دخول الضريح الذي يضمّ رفات الآباء المؤسّسين الذين قادوا انفصال جمهورية الدومينيكان عن هاييتي في العام 1844. ولكن مع توافد مزيد من المتظاهرين، استمرّت الفعالية كما كان مخططاً لها، وردّد الحاضرون شعارات، نحو: "غزة تقاوم، فلسطين موجودة"، كما ندّد عدد من المتحدثين بدعم الحكومة الدومينيكانية لدولة الفصل العنصري "الإسرائيلية"، وكذلك بتواطؤ الولايات المتحدة في الإبادة الجماعية. وقد كان من بين المطالب دعوة الرئيس لويس أبي نادر إلى إنهاء العلاقة الوثيقة التي تربط الحكومة بـ"إسرائيل".

حصّت المؤلّفة الجنوب: المجلة الفلسطينية للدراسات التحررية بهذه المقالة التي نُشرت النسخة الأولى منها في مجلة تقرير المؤتمر الشمال أمريكي حول أمريكا اللاتينية (NACLA) في عدد تشرين الثاني 2024. وباذن من المؤلّفة، ترجم النصّ عن الإنجليزية عبد الرحيم الشيخ.

Sandy Plácido, "For Palestine, from Ayiti," *NACLA Report on the Americas*, Vol. 56, No. 4 (2024): 403-409.

<https://doi.org/10.1080/10714839.2024.2427972>

ليس بعيداً عن موقع ذلك الاحتجاج، ولكن قبل قرابة نصف ألفية، وتحديداً في العام 1521، انتفض أفارقة مسلمون من شعب الولوف الذين كانوا مستعبدين في مزرعة سكرٍ يملكها دييغو، الابن الأكبر لكريستوفر كولومبوس. لقد تسلّحوا وساروا غرباً على طول نهر نيغوا نحو أزوا، فقتلوا الإسبان واستولوا على ممتلكاتهم، وجنّدوا في طريقهم أفارقة مستعبدين آخرين. واليوم، يعيد نشطاء مناهضون للعنصرية ومدافعون عن حقوق الإنسان، مثل المتظاهرين المتضامنين مع فلسطين في منزهة الاستقلال، تأكيد تقليد الجزيرة الراديكالي الممتدّ لأكثر من 500 عام واستمراره في مقاومة قوى الاستعمار ونزعة التفوق الأبيض والرأسمالية والإمبريالية. كما أنهم يواصلون مواجهة وطأة تاريخ طويل من قمع الحركات الراديكالية في جمهورية الدومينيكان، حيث تُشكّل ظروف شبيهة بالفصل العنصري ضدّ المنحدرين من أصل هايتي، وحقوق محدودة للنساء، ومعاودة السود، ورهاب المثلية الجنسية، وقمع الحركات العمّالية والتقدمية... ملامح الحياة اليومية.

ونظراً لأن أساليب القمع وتقنياته يتمّ تداولها بشكل متزايد بين حكومتي جمهورية الدومينيكان و"إسرائيل"، فإن النضال ضدّ الفصل العنصري في جمهورية الدومينيكان هو أيضاً نضال ضدّ الفصل العنصري في فلسطين وعلى امتداد العالم. هذا، وتشكّل فلسطين وآيتي Ayiti (وهو الاسم [المشتقّ من لغة] التاينو للجزيرة التي تتقاسمها جمهورية الدومينيكان وهايتي) أهمية جيوسياسية واقتصادية لكلّ من الولايات المتحدة و"إسرائيل"، كما أنهما تحقّقان أرباحاً طائلة في مجالات الصناعات العسكرية والتعدين والسياحة والزراعة. تستفيد أكثر من 850 شركة من مناطق التجارة الحرّة في جمهورية الدومينيكان، بينما في فلسطين، يُقال إن رئيس الوزراء "الإسرائيلي" بنيامين نتياهو قد اقترح مشروعاً ضخماً لمنطقة تجارة حرّة في قطاع غزة بعد الإبادة الجماعية. كما تعتبر آيتي وفلسطين موقعين رمزيين أساسيين للبنى الأيديولوجية لمعاودة السود، والعنصرية المعادية للعرب، والإسلاموفوبيا.

إنّ الإبادات الجماعية وأنظمة الفصل العنصري في القرنين العشرين والحادي والعشرين في جمهورية الدومينيكان (والتي نُفّدت سواء على يد النظامين الديكتاتوريين لكل من رافائيل تروخيو وخواكين بالأغوار أو من قبل الحكومات ذات الطابع القانوني مثل حكومة لويس أبي نادر وغيره من الرؤساء المنتخبين) لا توازي أفعال "إسرائيل" وحسب، بل أنها طوّرت أيضاً بالتشاور مع وياعجاب ب"إسرائيل" والولايات المتحدة وقوى إمبريالية أخرى. وفي الوقت نفسه، واستناداً إلى مواقف متجذّرة بشدّة في معاودة الهايتيّين والسود في الحكومة والمجتمع، والتي تلقي بلائمة أزمات البلاد على المجتمع الهايتي المُهمّش والمجرّد من الجنسية والحقوق والمستغلّ بشدّة، فإنّ أبي نادر وأسلافه من المحافظين لم يكتفوا بالتسامح مع نمو منظمة الدومينيكان القديمة المتطرفة وأيديولوجيتها، بل شجّعوا ذلك بفاعلية، بما في ذلك رفض محاسبة هذه الجماعة قانونياً على عنفها ضدّ نشطاء العدالة الاجتماعية.

تضمّ منظمة الدومينيكان القديمة وحلفاؤها من اليمين المتطرّف داخل الحكومة، وكثير منهم من ذوي البشرة السوداء والسمر، نازيين جدداً، ومؤيدين لدونالد ترامب و"إسرائيل"، ومنكرين للأصول الأفريقية في جمهورية الدومينيكان، ومسيحيين إنجيليين يتبنّون مواقف أبوية ومعادية للإسلام وللمثليين. وفي نمط يتكرّر على امتداد العالم، يدعم هؤلاء الفاشيون البنى ذاتها للرأسمالية العنصرية والاستعمارية التي قمعت أسلافهم وما تزال. وفي

ظلّ هذا السياق، يصبح بناء التضامن في هذه اللحظة تحديداً بين فلسطين وهايتي وجمهورية الدومينيكان وشتات هذه المجتمعات وحلفائها أمراً واجباً، ذلك أن النضالات المناهضة للإمبريالية لهذه المجتمعات تستهدف عقداً مركزية من القوة المادية والأيدولوجية في النظام الرأسمالي العالمي.

تواريخ مشتركة للإبادة، والفصل العنصري، والاحتلال

بحسب بعض التقديرات، وبحلول عشرينيات القرن السادس عشر 1520، أي بعد أكثر من عقدين منذ أن وطئت قدما كولومبوس جزر الكاريبي في سنة 1492، كان 95 % من شعب التاينو في آييتي قد لقوا حتفهم. وفي سنة 1502، بدأ الإسبان بجلب الأفارقة إلى سانتو دومينغو، وهو الاسم الذي لا يزال مستخدماً لعاصمة جمهورية الدومينيكان اليوم، وذلك لاستبدال السكان الأصليين ضمن نظام أخذ في التطور كمزيج من الاستعمار والعبودية على أرضٍ مسلوقة. وقد قاوم السكان الأفارقة المستعبدون والتاينو في آييتي هذا النظام بشكل فوري ومستمر، ما أدّى إلى إعادة تصنيفهم عرقياً بشكل أكبر بوصفهم "نيغروس" (سوداً) و"إنديوس" (هنوداً). وبالإضافة إلى لون بشرتهم الأعرق، جرى تمييز الأفارقة والتاينو عرقياً ووصفهم جنائياً بسبب عدم اعتناقهم الديانة المسيحية. وبالإحالة إلى المؤرخ فيليبي فرنانديز-أرمستو، توضح الكاتبة سيلفيا وينتر أن الأوروبيين برّروا "غزوهم واستكشافهم" بأن الشعوب التي استهدفوها كانت تمارس "عبادة الأصنام"، وبالتالي كانت أراضيهم "يتمّ تصوّرها على أنها قابلة للمصادرة بشكل مشروع".

لقد كانت التفاعلات بين الأوروبيين والسكان الأصليين والأفارقة في أيبا يالا خلال النصف الأول من القرن السادس عشر تفاعلات تأسيسية لنزع الإنسانية والاستغلال التي قسّمت عالماً بين جماهير داكنة البشرة ومميّز ضدها عنصرياً ومستعمرة ومهمّشة وفقيرة، من جهة، ونخبة عابرة للحدود ذات نزعة تفوقية بيضاء، من جهة أخرى. وكما يُظهر التاريخ الحديث لآييتي، فإن هذه النخبة البيضاء، حتى عندما تضمّ أشخاصاً من ذوي البشرة الملونة، تبقى قائمة على بنية تفوق أبيض وتتحوّف وجودياً من تمرد الجماهير السوداء والسكان الأصليين.

لقد وقعت إبادة جماعية أخرى في آييتي سنة 1937، عندما قُتل نحو 20000 هايتي ومن ذوي البشرة الداكنة من الدومينيكان في العديد من المجتمعات المستقرّة والمختلطة على امتداد المناطق الحدودية بين هايتي وجمهورية الدومينيكان خلال فترة امتدّت عدّة أسابيع. وقد صدر أمر حملة التطهير العرقي من الديكتاتور الدومينيكاني تروخيو، الذي، شأنه شأن قادة الدومينيكان اليوم، حمّل الهايتيين مسؤولية الأزمات بهدف صرف الانتباه عن العنف الشديد لنظامه القمعي وعن إرث التدخل الأمريكي. فخلال الاحتلال الأمريكي 1916-1924، نما قطاع السكر في جمهورية الدومينيكان بسرعة، ما أفاد الشركات الأجنبية. وبعد وصول تروخيو إلى الحكم عبر انقلاب سنة 1930، عمل نظامه بفاعلية على تجنيد الهايتيين للعمل في حقول قصب السكر الدومينيكانية، وفي الوقت نفسه فرض عزلهم داخل "الباتيات"، وهي مجتمعات فقيرة أنشئت لإيواء عمّال المزارع. وعلى امتداد سنوات حكم تروخيو الديكتاتوري التي استمرت 31 سنة، وحتى اليوم، ساهم العمّال الهايتيون في شركات السكر

الدومينيكانية والأمريكية في جمهورية الدومينيكان في تشكيل طبقة نخبوية عابرة للحدود، ينتمي إليها الرئيس أبي نادر نفسه، وهو من أصحاب الملايين.

لقد وثقت اليوم، وعلى نطاق واسع، الأوضاع المزرية والشبيهة بالعبودية في حقول قصب السكر وفي قرى الباتيات. ففي العام 2022، حظرت الولايات المتحدة استيراد السكر الدومينيكاني الذي تنتجه شركة سنترال روماننا، والذي يُباع في الولايات المتحدة تحت علامة دومينو، بسبب ما نُسب إلى الشركة من استخدام العمالة القسرية. وقد أصبح العمّال الدومينيكانيون من أصول هاييتية، الذين كانوا مهمّشين أصلاً، أكثر عرضة للخطر بعد قرار المحكمة الدستورية الصادر في سنة 2013 والذي جرّد أكثر من 200000 من نسل الهاييتيين من جنسيّتهم، وسحب منهم المواطنة الدومينيكانية. وقد رسّخ قرار المحكمة تعديلاً دستورياً أقر سنة 2010 وألغى حقّ المواطنة بالولادة، وتمّ تطبيقه بأثر رجعي. وبذلك، أُفقد مواطنون دومينيكانيون وُلدوا لأباء هاييتيين كانوا في وضع هجرة غير نظامي حين ولادة أطفالهم جنسيّتهم فعلياً بين ليلة وضحاها، ما جعلهم عُرضة للترحيل. وما زال الهاييتيون في جمهورية الدومينيكان يتعرّضون لمداهمات هجرة رسمية عنيفة، كما يستهدفهم أيضاً عدد من المجموعات شبه-العسكرية المسلّحة التي تقوم باحتجاز الناس وتسليمهم للشرطة والسلطات العسكرية.

منذ توليه منصبه سنة 2020، صعدت إدارة أبي نادر من سياساتها المعادية لهاييتي. ففي سنة 2022، أمر الرئيس سلطات الهجرة بتكثيف عمليات احتجاز وترحيل الهاييتيين والدومينيكانيين من أصول هاييتية المجرّدين من الجنسية سواء كانوا يقيمون في الأراضي الخاصة أو في "أراضي الدولة"، والتي تشمل أيضاً مجتمعات الباتيات (قرى عمّال السكر)، وذلك بأيّ وسيلة ضرورية. وقد سجّل في البلاد حدوث 250000 عملية ترحيل خلال سنة 2023 وحدها. وفي أحدث موجة من عمليات الطرد الجماعي، تمهّدت الحكومة بترحيل 10000 هاييتي أسبوعياً. ومع ذلك، يواصل منظّمو العمّال من المجتمعات المتضرّرة، وكذلك الحركة المنظمة لعمال قصب السكر المطالبين بمستحقات التقاعد، ومقاومتهم لهذه الحملة وصمودهم في وجهها، وذلك على الرغم من أنهم يواجهون التهديدات، أو السجن، أو القتل بسبب نشاطهم التنظيمي دفاعاً عن العمّال الهاييتيين.

إن هذه الظروف الشبيهة بنظام الفصل العنصري التي يعيشها الهاييتيون والدومينيكانيون المنحدرين من أصول هاييتية (وكثير منهم بات يفتقر إلى الوثائق الرسمية حتى لو كانوا قد وُلدوا ونشأوا في جمهورية الدومينيكان) تجعل هذه الفئة السكانية أكثر عرضة بشكل متزايد للاتجار بالبشر، والاستغلال الجنسي، والعمل القسري، وأشكال أخرى من الانتهاكات والإساءة والاستغلال المفرط. كما أن الأوضاع الشبيهة بالعبودية التي يواجهها العمّال الهاييتيون في حقول قصب السكر يمكن العثور عليها كذلك في قطاعات الزراعة والسياحة والبناء. وغالباً ما تتعرّض الجماعات الهاييتية للابتزاز من قبل الشرطة والجيش، ولمداهمات المنازل دون أدونات قضائية، وللاعتقال التعسفي، حتى أن سلطات الهجرة قامت كذلك، وبشكل منهجي، باحتجاز نساء هاييتيات حوامل أو في فترة ما بعد الولادة داخل المستشفيات أو بالقرب منها. أما أولئك الذين لا يواجهون ترحيلاً فورياً أو استغلالاً مباشراً، فما تزال هناك عوائق اجتماعية واقتصادية مستمرة، تشمل قلة أماكن العمل المستقرّ، أو الضمان الاجتماعي، أو فرص التعليم.

وأخذاً لهذه الوقائع بعين الاعتبار، يقارن ناشطون دومينيكانيون، بشكل متكرر، بين الظروف التي يواجهها الهايتيون والدومينيكانيون من أصول هاييتية في جمهورية الدومينيكان وتلك التي يواجهها الفلسطينيون في الأراضي المحتلة. على سبيل المثال، ترى العضوة في حركة العمّال الاشتراكيين إنغريد لوسيانو تماثلات بين "النظام العنصري في 'إسرائيل' وعناصر الفصل العنصري التي بدأت بالظهور في جمهورية الدومينيكان." هذا، وتقارن لوسيانو الرئيس أبي نادر بشخصيات يمينية متطرّفة معاصرة مثل الرئيس الأمريكي دونالد ترامب والرئيس البرازيلي جاير بولسونارو، وكذلك بالديكتاتورين الدومينيكانيين القمعيين رافائيل تروخيو وخواكين بالاغوار، اللذين كثيراً ما تحدّثا عن خطر "الاجتياح الهايتي".

بالنسبة للوسيانو، فإن "أساليب الإرهاب" والعنصرية البنيوية هذه أصبحت "أمراً يومياً وخطيراً"، وتشير إلى "إقامة نظام فصل عنصري" في جمهورية الدومينيكان. هذا، وتقول لوسيانو إن هذا الوضع لا يختلف عن "الاضطهاد العنصري المنهجي" في فلسطين نتيجة "الاستعمار الصهيوني"، إذ يواجه كل من الهايتيين والفلسطينيين حرماناً من حرية الحركة، وإنكاراً للحقوق السياسية، وقيوداً على الوصول إلى المياه والكهرباء، وذلك بالإضافة إلى المجازر، والتعذيب، وإرهاب الدولة واسع النطاق.

لوضع النضالات ضدّ العنصرية وضدّ نظام الفصل العنصري في جمهورية الدومينيكان وفلسطين في حوارٍ مشترك، نظّمت حركة العمّال الاشتراكيين فعالية افتراضية في آذار/ مارس 2023، وكان من بين المتحدثين سلام المسلماني، وهي فلسطينية تقيم في إقليم كتالونيا الإسباني. قالت: "أنا من الضفة الغربية، وقد عشت هذا الاحتلال طوال حياتي، منذ أن كنت صغيرة. في فلسطين، لا يمرُّ يوم دون اقتحام ضدّ الشعب الفلسطيني." وقد شرحت المسلماني الأشكال المنهجية واليومية التي يقوم بها الاحتلال الإسرائيلي في تجريد عائلات فلسطينية، مثل عائلتها، من منازلها وأراضيها. ومن بين هذه الوسائل "القانونية" لفرض التهجير استخدام اتّهامات مبالغ فيها حيال مخالفات لقوانين البناء. وبالإضافة إلى الإقصاء المنهجي للهايتيين والدومينيكانيين من أصول هاييتية، فإن الإفلات من العقاب على العنف الإمبريالي المستمرّ الذي عانت منه أجيال في أبيتي يعكس أيضاً غياب العدالة بشأن الجرائم التي ترتكبها "إسرائيل" بدعم أمريكي في فلسطين.

لقد احتلّت الولايات المتحدة هاييتي في الفترة 1915-1934، واحتلّت جمهورية الدومينيكان في الفترة 1916-1924، كما غزت القوات الأمريكية جمهورية الدومينيكان مرة أخرى سنة 1965 لقمع الثورة، وفي هاييتي دعت واشنطن إلى تدخّلات واحتلالات أجنبية على مدى عقود، بدءاً من أعقاب انقلاب سنة 1991 ضدّ أول رئيس منتخَب ديمقراطياً في البلاد، جان-برتران أريستيد. واليوم، تتعاون الدولة الدومينيكانية مع "إسرائيل" للحصول على تقنيات للسيطرة على الحدود، والشرطة، والمراقبة التي تُستخدم في سياق الاحتلال "الإسرائيلي" لفلسطين. وقد اشترت الحكومة برنامج التجسس "الإسرائيلي" بيغاسوس، وما صاحب ذلك من تأكيد حالة واحدة استُهدف فيها صحفي استقصائي دومينيكاني بارز باستخدام هذا البرنامج بين سنتي 2020-2021.

في سنة 2023، وقّعت حكومة أبي نادر اتفاقية مع شركة المياه الحكومية "الإسرائيلية" ميكوروت لوضع خطة رئيسية لإدارة المياه، وقد وصفت ميكوروت هذا الاتفاق بأنه "الأول من نوعه". وفيما اعتبر انتصاراً للحركات الاجتماعية تمّ لاحقاً إلغاء هذه الاتفاقية، وهو تطوّر مثير للقلق نظراً لدور الشركة فيما يُوصف بـ"نظام الفصل المائي" في فلسطين، على الرغم من أن حركة العمّال الاشتراكيين ترى أن ثمة أسئلة مهمة ما تزال مطروحة حول العقد وإلغائه. وعلى نحو مشابه، وفيما يبدو أنه إعجاب واضح بالجدار الصهيوني، درست حكومة أبي نادر التعاقد مع شركة "إسرائيلية" لبناء أجزاء من جدارها الحدودي مع هايتي، لكن العقد لم يُبرم لصالح خيار أقلّ كلفة. فضلاً عن ذلك، فقد قام عملاء "إسرائيليون" بتدريب وحدات من الشرطة الدومينيكانية، كما أمّدت شركات "إسرائيلية" الجيش الدومينيكاني بالأسلحة. إن هذه الأمثلة مجتمعة تشير إلى استعداد الدولة الدومينيكانية لأخذ تقنيات من "إسرائيل" لتعزيز ما يُوصف بنظام الفصل العنصري الخاصّ بها.

المقاومة والتضامن: الماضي والحاضر

منذ ما قبل بدء القصف "الإسرائيلي" الأخير على غزة في تشرين الأول/أكتوبر 2023، قامت حركات ومنظمات في جمهورية الدومينيكان بتسليط الضوء على الروابط التاريخية والمادية والسياسية بين فلسطين وأبيتي، وشخّصت التهديد المتزايد والمتربط للفاشية سواء داخل البلاد في جمهورية الدومينيكان وفي الخارج في الولايات المتحدة وفي الأراضي [الفلسطينية] المحتلة. في السنوات الأخيرة، لعبت حركة العمّال الاشتراكيين دوراً ريادياً في التعبير عن التضامن مع نضال التحرّر الفلسطيني. فعلى سبيل المثال، أدان بيان صدر في أيار/ مايو 2021 سلسلة من أعمال التدمير والقتل التي نفّذها مستوطنون صهاينة ضدّ فلسطينيين كانوا يقاومون التهجير، وسلّط الضوء على الطرق التي دعمت بها حكومة أبي نادر "إسرائيل" حينها. وفي أواخر سنة 2020، وعلى خطى ترامب، أعلنت الحكومة الدومينيكانية نيّتها نقل سفارتها في "إسرائيل" إلى القدس. وخلال الهجمات الصهيونية في أيار/ مايو 2021، نشر أعضاء من اليمين المتطرّف الدومينيكاني بياناً دعموا فيه "إسرائيل". أما بيان التضامن، الذي قادته حركة العمّال الاشتراكيين، فقد وُقّع من قبل عشرات الأفراد والمنظمات في جمهورية الدومينيكان، بما في ذلك ممثّلين عن عمّال قصب السكّر، واقتصاديين، ونسويات، وأساتذة جامعيين.

في تموز/ يوليو 2023، ربط بيان آخر نظمت إصداره حركة العمّال الاشتراكيين بين تصاعد حملات المدهامات والتوقيفات والترحيل ذات الطابع العنصري ضدّ الهايتيين، بما في ذلك المقيمين منذ فترة طويلة والذين يملكون وثائق هجرة قانونية، وقرار الحكومة الدومينيكانية تكريم "إسرائيل" خلال معرض سانتو دومينغو الدولي للكتاب. وقد أشارت الحركة بحقّ إلى الصلة بين عنصرية نظام الحكم في جمهورية الدومينيكان ونظام الفصل العنصري داخلياً، ودعمه للنظام الصهيوني القائم على العنصرية والفصل العنصري والإبادة الجماعية في فلسطين. ودعا البيان إلى مقاطعة معرض الكتاب، وحظي بمصادقة مئات التوقيعات من مختلف أنحاء أمريكا اللاتينية وأوروبا ومصر وفلسطين والولايات المتحدة.

وكان من بين أبرز الموقعين سوزان أبو الهوى، وأنجيلا ديفيس، وروبن دي. جي. كيبي، وكورنيل ويست، والكاتبة البورتوريكية مايرا سانتوس-فبريس، التي أعلنت على الملأ انسحابها من المعرض. وخلال هذه الفترة، صرّح أعضاء في حكومة أبي نادر، مثل وزيرة الثقافة ميلاجروس جيرمان، أن هذه الخطوة لا تعدو كونها احتفاءً بـ"الثقافة الإسرائيلية". ومع ذلك، فقد أُقيم المعرض في آب/أغسطس 2023، وتخلّته كلمات افتتاحية تمدح "إسرائيل" لفضلها في "جعل الصحراء خضراء من جديد"، وهو مجاز نمطي عنصري يمحو الوجود الفلسطيني ويبرّر الاستعمار الاستيطاني "الإسرائيلي".

خلال العام الماضي [2024]، واصل عشرات الأفراد والمنظمات في جمهورية الدومينيكان التعبير على الملأ عن تضامنهم مع الشعب الفلسطيني عبر بيانات واحتجاجات. ففي آذار/مارس 2024، وخلال حفل بريميوس سوبيرانو، الذي يُعدُّ من أهم جوائز صناعة الترفيه في سانتو دومينغو، تحدّث المخرج والممثل المعروف مانويل تشابوسيو معرباً عن دعمه فلسطين أثناء تسلّمه جائزته، كما عبّرت الممثلة نيليني ديبتون، التي فازت كذلك بجائزة في الليلة نفسها، عن تضامنهم مع النضال الفلسطيني خلال مقابلة على السجادة الحمراء.

ومع اجتياح موجة الاحتجاجات الطلابية القارّة، عبّرت منظمات طلابية في الجامعة المستقلة في سانتو دومينغو عن تضامنهم مع الشعب الفلسطيني خلال اعتصام استمر من 13 إلى 16 أيار/مايو 2024. وقد كان من بين المجموعات المشاركة الجبهة الطلابية لتحرير أمين أبيل (FELABEL)، وهي تحمل اسم أمين أبيل حزبون، القائد اليساري الدومينيكاني من أصل فلسطيني الذي كان عضواً في الحركة الشعبية الدومينيكانية الماوية (MPD) وساهم في تدريب المقاتلين خلال الثورة الدومينيكانية في العام 1965. وقد اغتيل حزبون سنة 1970، وكان من بين مئات اليساريين الذين قُضوا خلال دكتاتورية بالاغوار بين سنتي 1966 و1978.

في الشتات، يواصل الهائيتيون والدومينيكانيون الراديكاليون من أجيال مختلفة إرث التنظيم والمقاومة وبناء التضامن في أحياء مثل واشنطن هايتس في مدينة نيويورك وغيرها. ومنذ تشرين الأول/أكتوبر 2023، دعت احتجاجات قادتها مجموعة "أب-تاوان من أجل فلسطين" إلى مساءلة عضو الكونغرس أدريانو إسبائات، وهو نائب ديمقراطي يمثّل الجزء الشمالي من مانهاتن والبرونكس الغربي وأول دومينيكاني يُنتخب للكونغرس، بسبب دعمه "إسرائيل". وسواء كانوا في أوطانهم أو في الشتات، يواصل الأشخاص المُعرّضون للعنصرية والاستعمار احتمال وفهم البنى المتداخلة للعنصرية والإقصاء والسلطة الإمبريالية عن قرب. وكما تُظهر أعمال باحثين مثل المؤرخة سارة عورتاني، فإن هذه المجتمعات عاشت ونظّمت الأنشطة جنباً إلى جنب مع الفلسطينيين المهجّرين في مدن مختلفة حول العالم لعقود طويلة.

في قصيدته "خطبة الهندي الأحمر ما قبل الأخيرة أمام الرجل الأبيض"، يتخيّل الشاعر الفلسطيني محمود درويش خطاباً ليقه الزعيم س-أت (بلغة قبيلة دواميش، لاشوتيد)، المحوّل بالإنجليزية إلى "سياتل"، وهو قائد شعبيّ الدواميش والسوكواميش من شعوب جزيرة السلحفاة (أمريكا الشمالية). وتمثّل القصيدة تجسيداً مهماً للتضامن

المتبادل بين فلسطين ومجتمعات ألبانيا، إذ تمنح مساحةً للتأمل في معنى التضامن وكيف يبدو ويُعاش، ولتفكيك خبراتهم المشتركة في ظل الاستعمار. وفي أحد مقاطع القصيدة، يكتب درويش:

"تعال، لنقتسم الضوء
في قوّة الظلّ، خذ ما تريد من الليل،
واترك لنا نجمتين لندفن أمواتنا في الفلك."

ويعبر هذا المقطع بدقّة عن جوهر التضامن: فالبشر يلتقون على الرغم من الألم ومن خلاله، وبسببه أيضاً، على أمل أن يقودهم العمل المشترك إلى مستقبل أكثر أماناً وسعادة.

ضدّ الإبادة والنهب

في 12 تشرين الأول/أكتوبر 2020، وهو يوم يُحتفى به تاريخياً بوصول كولومبوس سنة 1492 إلى آييتي وبداية استعمار الأمريكيتين، تجمّعت منظمات نسوية أفرو-دومينيكانية في القطاع الاستعماري من سانتو دومينغو تحت شعار "لا شيء نحتفل به *Nada que celebrar*". وفي ساحة كولون، وهي الحديقة التي كانت في الماضي موقع مزرعة [دييغو] ابن كولومبوس، والتي يوجد فيها اليوم تمثال لكولومبوس تحته صورة زعيمة التاينو أناكاونا Anacaona، قدّم فنانون مربوطون بحبل طويل قراءة شعرية:

No queremos tu cruz	لا نريد صليبك
No queremos tu lengua	لا نريد لغتك
No queremos tu cultura	لا نريد ثقافتك
Mira en que nos convertiste	انظر إلى ما حوّلتنا إليه لقد سرقت كل شيء: لصّ
Te robaste todo: Ladrón	لقد اغتصبك كل شيء: مغتصب
Lo violaste todo: Violador	لقد نهبك كل شيء: ناهب
Lo saqueaste todo: Saqueador	وقد استعبدتنا: مُستعبد
Y nos esclavizaste: Esclavista.	كولومبوس: مستعبد، ومُرتكب
Colón: esclavista, genocida, ladrón.	إبادة جماعية، ولصّ

بعد مرور تشرين الأول/أكتوبر مرتين، وفي سنة 2022 عند تمثال كولومبوس في الحديقة نفسها، استخدم أعضاء من المنظمة الدومينيكانية القديمة أنابيب معدنية في ضرب متظاهرين وفنانين أدائيين بشكل عنيف والتسبب لهم بجراح حين كانوا يتناولون بشكل نقدي إرث كولومبوس المحلي والعالمية. والآن، وبعد مرور أكثر من سنة على تصاعد الإبادة في غزة، يدرك الناشطون الدومينيكانيون والهايتيون في أبيتي وفي الشتات أنه عندما يدينون الصهيونية، أو أيّاً من البنى التي تقوم على العنصرية والتنوع الاجتماعي والجنسانية والدين وغيرها من الأشكال التي أُيدت الرأسمالية والإمبريالية، فإنهم يواجهون هجمات لا من مؤيدي الولايات المتحدة و"إسرائيل" فحسب، بل من اليمين الدومينيكاني المتطرّف كذلك.

على الرغم من التاريخ الطويل من القمع المحلي والوطني والدولي الذي تعرّضت له المجتمعات السوداء والحركات المناهضة للإمبريالية في جمهورية الدومينيكان، يواصل النشاط بلا هوادة وبشكل علني مواجهة العنصرية والاستعمار وأشكال العنف المرتبطة بالنوع الاجتماعي والجنس، وتتناسب هذه المخاطر مع أهمية هذا الحراك على المستوى الكاريبي والعالمي في أن معاً. ويادانة تواطؤ الدولة الدومينيكانية مع الإبادة الصهيونية وتواطؤ "إسرائيل" في نظام الفصل العنصري داخل الدولة الدومينيكانية، ومن خلال التعبير عن التضامن مع فلسطين، فإن الحركات والأفراد الذين يجنّدون الدعم والمناصرة من أجل فلسطين انطلاقاً من أبيتي، وهي موقع أول مستوطنة أوروبية في ألبا يالا، يعزّزون قوتهم عبر موضوعة واقعهم في سياق الدولي. إن تعزيز الوحدة بين مختلف النضالات في فلسطين وهايتي وجمهورية الدومينيكان يشكّل تحدياً للإمبريالية في مواقع ذات أهمية استراتيجية وجيوسياسية كبرى في الكاريبي والعالم العربي